على العكس، انـه، بهذه الصورة، يترك علامات وتساؤلات كثيرة دون ان يجلو الحاضر، أو يحاول تسجيله والتعبير عنه.

ويزيد الامر خطورة، بالنسبة الى كاتب ملتزم مثل غسان كنفاني؛ إذ انه لم يكتب دراساته الكثيرة عن المقاومة والادب الفلسطيني وحسب، بل راح يعبّر عن القضية بعديد من الاجناس الادبية، من قصة ورواية ومسرح، وما الى ذلك. والأكثر من هذا، عمل، في نهاية عمره القصير، في «الكادر» النضالي، فأصبـح المتحـدث الرسمي للجبهـة الشعبية لتحرير فلسطين، وتصاعد نشاطه الواعي حتى دفع العمـلاء والصهيـونيين بخمسة كيلوغرامات من الديناميت ليتمّ التخلّص منه، في وقت تكون هذه الشحنة من الديناميت كافية للقضاء على بناء.

الاطار المرجعي؛ الزمن

كان المناخ الوجودي أكثر المؤثرات في وجدان المثقف العربي، خاصة وان الترجمات «السارترية» كانت شائعة في بيروت في ذلك الوقت. ويمكن ان نفترض، أيضاً، ان غسان كنفاني كان قرأ جان بول سارتر بالفرنسية؛ فمن المعروف انه درس، في فترة مبكرة من حياته في مدرسة فرنسية تبشيرية، بشكل فاق دراسته للغة العربية حينئذٍ، فأسهم هذا في تمكّنه من الاطلاع على اعمال فكتور هيغو وبلزاك ضمن أسماء عالمية كثيرة، فامتزج التأثير الذاتي بالتأثير العام حينئذٍ.

ولا شك في ان الوجودية، باطارها الادبي، كانت أكثر تأثيراً من غيرها؛ خاصة في روايتي سارتر المعـروفتـين «الغثيـان» و«الجـدار»؛ اذ توالت الشخصيـات البـائسـة وأثرها في وجدان الانسان الفلسطيني.

ويجب ان نسرع الى القول، هنا، الى ان تأثير سارتر، فضلاً عن فرانز كافكا ووليام فوكنر وارنست همنغـواي وغيرهم، لم يكن تأثيراً «كربونياً»؛ فمن المؤكد ان حالة الفلسطيني المشرّد، حينئذٍ، الباحث عن الارض، العائش في المنفى، الذي يرى الثورة بديلاً من هذا الواقع العقيم، والموت مرادفاً للعودة؛ حالة هذا الفلسطيني كانت المؤثر الاول في وجدان كنفاني؛ فلم تكن حالة الوجودية، بمعناها الغربي من حالة الضجر والغثيان، أو الهروب، وما الى ذلك، وراء الباعث الاسـاسي في كتاباته المتنوّعة؛ إذ تحدد «الخطاب» الرئيس من هذا الواقع، ومن «حالة» هذه الشخصيات التي كان يلقاها في المنفى.

وتأكيداً لهذا، فان بطل رواية «الذباب» عند سارتر، لم يكن هو، قط، بطل مسرحية «الباب» عند كنفاني؛ كما ان القضية التي شغلت بطل رواية «الصخب والعنف» عند فوكنر، على الرغم من التأثر بها، لم تكن هي قضية بطل رواية «الشيء الآخر» أو «ما تبقى لكم»؛ كذلك، فان القضية التي شغلت هيغو وتمثّلت في المشرد في «البؤساء» لم تكن هي القضية التي شغلت حميد بطل «كعك على الرصيف» عند كنفاني.

ان حميد، بطل القصة القصيرة «كعك...»، كان هو ابن الهزيمة العربية والبؤس النابع من ضياع الطفـولة الفلسـطينية منذ النكبة في عالم لا يعترف بالطفولة، وهو ما يقال، بشكل ما، عند مقارنة شخصيتي «الام» عنـد مكسيم غوركي و«ام سعد» عند كنفاني؛ اذ تظل الام العربية هي ضحية المخيّم، وصورة للتمرّد عليه(٥).

ان غسـان عانى من ثقـل الواقـع الفلسطيني الذي رزح على صدره منذ تفتّحت عيناه؛ بل